فيما أكد أن المشهد الثقافي والأدبي في اليمن لايتناسب وحجم اليمن ثقافة وتاريخاً

الدكتور/ محمد أحمد النهاري:

المثقف أصبح أجيراً ومرتهناً والغياب النقدي سببه افتقاد الأدوات النقدية

◁ الأستاذ الدكتور/ محمد أحمد النهاري -رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة صنعاء، الانسان المثقف والمستنير والأستاذ الجامعي الذي لايفتأ يحمل همّ الأجيال ويتطلع إلى مستقبل نضر مشرق لهذا الوطن، الناقد والأديب، والكاتب الرشيق في طروحاته والمتميز في وجهات نظره، ظللت لفترة ألاحقه لأجري معه هذا الحوار الذي كشف من خلاله عن رؤاه تجاه كثير من القضايا الأدبية والتعليمية والثقافية وبكل صراحة، يشدك إليه منطقه المغاير الباحث عن رياح جديدة للتغيير، إنه بلاشك صاحب هموم إنسانية أولاً وأخيراً، يقدس حرية الفرد وعملية الإبداع ويكره القواعد والقوالب، ويؤكد دائماً على التميز وإيجاد الذات، وهو مادأب على غرسه في طلابه ولايزال محاولاً بكل صدق تقويض دعائم النمطية والتكرار والتلقين في التعليم، ولكي نتعرف على بعض من أفكاره وآرائه تجاه المشهد الأدبي والنقدي والإبداعي أرى أن ننصت بقلوبنا أولاً لكل كلمة قالها في حصيلة حوارنا التالي:

حاوره/علي ربيع

● الأمية الثقافية تهيمن على الطالب الجامعي وكثير من أساتذة الجامعة .. ماهي الأسباب ؟ وكيف يمكن القضاء على مثل هذا النوع من الأمية؟

– أحسب أن الظرف الاقتصادي من أبرز العوامل التي تساعد في نشوء هذه الأمية الثقافية، فلا وقت للثقافة ولا للاستزادة الفكرية فالحياة أصبحت صعبة للغاية .. أما العامل الآخر فهو أن المثقفين البارزين في عموم الوطن العربي – وهم فقراء بلا شك- المشهورين وغير المشهورين، أصبحت نماذج سلبية لطليعة الشباب .. فالجيل الصاعد جيل مفتون بالمظاهر لأسباب كثيرة، وعندما يرى أن هذه النماذج أو النخب المتعبة في غاية من البؤس والفقر، فإنه يصبح حاقداً على الثقافة والمثقفين، وأذكر في هذه المناسبة ماحدث بين الحافظ الموسوعي الكبير في تاريخ ثقافتنا العربية، وبين أمه، فلقد تعلم أنه كان يحاول أن يوفر لقمة عيشه من بيعه السمك في البصرة، وذات يوم طلب إلى أمه غداء، فلم يفاجأ عندما قدمت إليه بضعة كتب في طور النسخ، قائلة له: تفضل وتغدى..

هذه الأم أصبحت الزوجة والبنت والأخت التي تسأل المثقف من أفراد أسرتها مأأهمية ثقافته في عصر لايستطيع المثقف أن يكون صاحب عيش كريم، بل ربما أصبح الإنسان السيء السلوك، الذي ينهب المال العام ويسرق حقوق الآخرين، هو القدوة والمثل الأعلى الذي ينظر إليه المجتمع أو كثير من أفراده بشيء من التوقير والاحترام والإعلان، وهناك عامل آخر، وهو أن المثقف والمثقف الجاد الممتاز لايجد تقديراً من الدولة، بينما يكرم الذين لايقرأون ولا علاقة لهم بالمعرفة والثقافة، والنماذج كثيرة، عساها تنجلي، وتعود كثير من الأمور إلى نصابها.

إن أول الخطوات التي تستطيع بموجبها إزالة الأمية الثقافية، بيد الدولة التي بيدها –وحدها– رد الاعتبار للثقافة والمثقفين.

ولابد أن تنمو حركة إعلامية قوية لرفع معنوية المثقف باعتباره الذي يملك رؤية التغيير باستشرافه المستقبل عن وعي وإدراك.

● كيف تقيمون واقع المشهد الأدبي الثقافي الراهن في اليمن، وهل يمكن مقارنته بما ينتج عربياً؟

– سأكون واضحاً وصريحاً المشهد الثقافي والأدبي في اليمن لايتناسب وحجم اليمن، ثقافة وتاريخا .. ولست متشائماً بحال، كما أني لست أنظر نظرة مثالية .. فأنا أفهم أن الثقافة والأدب سياق ضمن سياق عام، ينبغي تغييره بكثير من البصيرة الثاقبة والحكمة التي هي في تقاطع –أبداً– مع التهور والقفز على الواقع.

المثقف اليمني لم يعد يؤدي الدور المطلوب إليه، فقد كان المثقف حزبياً، والحزبية في اليمن أقول في الغالب هي التي كانت تصنع المثقف، فلما سقطت الحزبية وأهل الأحزاب في المطامع الصغيرة وتخلوا عن رسالتهم الاجتماعية والقيادية، هوت الثقافة وأصبحت عدماً، ولعل هذا سبب آخر يضاف إلى الأسباب الأخرى التي حدت بالجيل الصاعد لكي لايهتم بالثقافة والمثقف، وأقول مرة أخرى (غالباً) أصبح أجيراً، أصبح مرتهناً للذي يدفع على حساب كرامة الرسالة التي يفترض أن يقوم بها.

ونظرة سريعة وعابرة لما يملكه هؤلاء المثقفون الحزبيون الثقافة سلوك وقدرة .. المثقف إنسان مقدس بغض النظر عن الأفكار التي يحملها .. مهما تكن تعيسة .. ولكن هناك ومضات تبدد شيئاً من الغسق، فهناك حركة طباعية لأعمال شبابنا المبدعين وأبواتنا الذين أبدعوا، وشكراً للأخ/ خالد الرويشان وأطمع أن تكون هناك أولويات.

● بالرغم من أن العصر عصر الرواية، كما هو رائج عربياً، لكن يلاحظ غياب الرواية اليمنية .. ماتفسيرك لهذا الغياب؟

صحيح أن هناك روايات أو محاولات روائية لكنها لاترقى إلى مستوى الرواية الحقيقية؟

– لا أؤمن بأن هناك عصراً من العصور يختص بجنس أدبي دون آخر .. هناك ظروف ربما سلطوية، هي التي تروج لهذا الجنس دون ذاك، وبحسب البيئة والثقافة يكون التفاعل .. الرواية هي نتاج لعصر القطار والسفر الطويل بين البلدان الأوروبية، ثم هي تقول بأسلوبها الفني مالم يستطع المجتمع أن يقوله في عصر التعدّين والتنكيل بالمفكرين، الرواية هي تصوير لظروف القهر والكبت في فترة ما، وتستطيع أن تكون القصيدة هي جنس أدبي آخر ذائعة في كل العصور متى صورت الحاضر واستشرفت المستقبل، الجنس الأدبي الذي يصبح رائجاً في كل العصور، عائد لاعتبارات كثيرة، ولكني أؤمن –وهذه قناعتي– تعود المبدع نفسه، فالمبدع لأي جنس أدبي هو الذي يفرض هذا الجنس أو ذاك، وعندما يغيب هذا الجنس في أي محيط إنما سبب ذلك من وجهة نظري لعدم وجود مبدع تتوافر له الشروط الفنية، والموضوعية لإبداع أي شكل أدبي، وإذا رأيتك تلح على تحديد الأسباب أكثر .. أقول لك إنك عندما تطلب إلى المبدع اليمني أن يكتب رواية، فإن في ذهنك نموذجاً فنياً على الأقل، لابد أنك تفترض أن ينسج الراوي أو المبدع على غراره الرواية كما أفهمها نسج للأحداث، وخلق لنسيج متقدم يتناغم فيه الفن والواقع، بحيث لايتخلى طرف عن آخر .. الرواية صناعة للأحداث والشخوص والمواقف على هيئة مناورة .. لابد أن يكون الراوي مثقفاً ممتازاً ليكتب الرواية .. لابد أن يكون قد قرأ علم النفس، وفلسفة، وأدباً، شعراً ونثراً، ولابد أن يكون في الأول والأخير صاحب رؤية .. بدون رؤية لايمكن أن يكون روائياً وبدون قدرة على المناورة والربط بين الأحداث لايمكن أن تكون كاتباً روائياً.

المؤلف الروائي لابد أن يكون أشبه بقائد أوركسترا الرواية فرقة أوركسترا، كل عازف يستخدم اللغة الخاصة به، لكن عينه لابد أن تكون على (النوتة) من ناحية وعلى أنامل القائد الذي يوزع الأنغام والحركات بذات الدقة، الرواية اختراق للعادات والتقاليد وهي إن لم تستطع أن تقدم بديلاً فهي تطرح الواقع أمام القارئ الذي يشارك بتقديم البديل أو يشارك على الأقل بطرح السؤال!!

الواقع العربي لايتحمل النسق الروائي على غرار الرواية الغربية .. وباستطاعة مجتمعنا اليمني أن يكتب رواية وفق الظروف الموجودة .. ولكن أين الكاتب؟ كتابة الرواية مغامرة وهو الجنس الأدبي الوحيد الذي يقوم بطرح الأسئلة على المبدع، ويطالب بالتزامه على الصعيد الفني..

الكاتب الروائي عندما يكتب ليستشعر القارئ وبضعه نصب عينه، وأظن أن أكبر معوق لظهور كتابة روائية في بلادنا هو المجتمع بكثير من تقاليده الزائفة، وربما أتجاوز قدري عندما أقول أنه لا وجود لرواية يمنية وبعض أساتذتنا الذين يقررون وجودها فيما أحسب يدفعون –من باب التشجيع– شبابنا ليرتادوا هذا الطريق.

وعندما أقول لاوجود لرواية في بلادنا فإني أنطلق من النموذج الغربي أو على الأقل العربي، الذي صنعه عبدالرحمن منيف في (مدن الملح) وسهيل إدريس، والمبدعة الجزائرية أحلام مستغانمي، ونجيب محفوظ في رواياته التي هي رؤى لاأكثر.

● إلى أي مدى استفاد الناقد العربي من الطفرة النقدية والأطروحات المعاصرة القادمة من الغرب؟ وهل ترى أنه قد أضاف شيئاً إلى الحركة النقدية الإنسانية؟ وما هي الإضافة إن وجدت؟

– أفاد الناقد العربي كثيراً من النقد الأجنبي المعاصر وأزعم أن خير مثل في هذا الاتجاه هو الدكتور/ طه حسين، الذي طبق منهج (تين) في المرتكزات الثلاثة (الجنس والبيئة والزمان) وقبله الدكتور/ محمد مندور، ومصطفى ناصف وشكري عياد، وأحمد كمال زكي، والثلاثة الآخرون هم أساتذتي في جامعة الرياض.

ويحاول بعض النقاد الجدد إضافة أشياء كثيرة إلى نقدنا الأدبي العربي .. غير أن الملاحظ من كتاباتهم هو الإمعان في الإغراب، كما هو الحال بالنسبة للدكتور/ جابر عصفور، وصلاح فضل.

بلاشك الناقد العربي تلاقح كثيراً مع المناهج النقدية المعاصرة، والإضافة ماثلة فيما يكتبون.

● فيما يخص موروثنا العربي الإسلامي .. هل ترى أن الأجيال المعاصرة قد أنصفت هذا الموروث؟ وكيف ترى أساس التعامل مع التراث؟ بمعنى آخر .. أي أنواع القراءة يمكن أن نصطفيها مع هذا التراث؟

– موروثنا الثقافي –بحكم المشاغل الكبيرة التي رافقت تاريخنا منذ النهضة إلى الآن– لم يحظ بالاهتمام، نحن أمة مشغولة بظروفها هذه الظروف التي هي صنيعتنا نحن.

التراث ليس كماً، هو كيف كذلك فقط يحتاج إلى القراءة .. الذي يحول دون التراث وقراءته نحن –عندما كنت أطمع أن أكتب في موضوع تراثي، لم أستطع أن أجد وقتاً لقراءة بعض المخطوطات مثلاً.

فمكتبة الجامع الكبير، تفتح الحادية عشرة حينها وبعد نصف ساعة يتأهب الموظف للخروج لشراء القات واللحمة – طلابنا في الدراسات العليا لايستطيعون، كما فعل معي القراءة .. فلا تستطيع استعارة المخطوط ولا تستطيع تصويره، ولا توجد آلة طباعة في المكتبة فقط الذي يسمح به هو أن ترى المخطوط لدقائق، ولا أعلم من هو المسؤول عن هذا الأمر، وماهي الآلية التي سيكشف بها عن أصالتنا وإسهاماتنا في مجال الفكر العربي والإسلامي.

لابد أن نتعلم كيف نقرأ التراث، هذا الأمر يحتاج إلى إقامة مدارس ومعاهد لإنجازه، وتراثنا في غالبيته، مقروء بشكل عدمي وفج وجامد، وهو الآن يندثر، وأنا أسأل ماهي المؤامرة على التراث، إن لم تكن حبسه في أدراج المكتبات الخاصة والعامة وتعرضه لعوامل الرطوبة والإتلاف دون إتاحة الفرصة للاطلاع عليه ونشره.

لقد اقترحت على منفذي (صنعاء عاصمة للثقافة) أن تصور المخطوطات التراثية التي تنتظر العدم في الجامع الكبير وبيوت العلماء ثم تباع للناس، والمطبعة الحديثة الملونة وذات التقنية الممتازة تستطيع أن تخرج لنا هذا التراث الحاضر الغائب، ويمكن لتاجر من التجار أن يساعد في طبع وتصوير عشرات المخطوطات لأن كل يمني يعتز بهذا التراث الجليل.

● ماهي وظيفة الناقد الأولى برأيكم؟ وهل ترون مبرراً للغياب النقدي الكبير الذي تشهده ساحتنا الأدبية عدا بعض الأصوات القليلة جداً؟!

– لاتوجد وظيفة أولى للناقد، الناقد مبدع، النقد عملية إبداعية، الإبداع الأدبي ذو مهمة أخرى فوق الوظيفة، هي التألق بالنفس الإنسانية والسمو بها إلى عالم الحق والخير والجمال وهي المطالب التي سعى من أجلها الأنبياء والرسل والفلاسفة.

وفيما يتعلق بالغياب النقدي مرد ذلك – من وجهة نظري– أن كثيراً من شبابنا المبدعين لايمتلكون الأدوات النقدية التي تمكنهم من قراءة النص والسيطرة عليه وسبر أغواره –الناقد– إن وجد– مشغول بنفسه، بأمور حياته الضرورية، النقد يتطلب فراغاً وذهناً صافياً وإمكانات علمية، وكل هذه الأمور مرتبطة بشكل أو بآخر بالناحية الاقتصادية.

● لكم ارتباط عريق بالصحافة الثقافية .. هل ترون أنها تؤدي المهام المنوطة بها؟ وماهي أبرز ملاحظاتكم عليها؟

– الصحافة الثقافية بالتأكيد لها دور رائد، وهي تحاول جاهدة أن تفعل شيئاً في خضم هذا السبق المحموم من أجل التحصيل المادي غير المشروع في الغالب، ولكن ماينقصها هو الزاد النقدي، أما ترى عشرات القصائد، ولا تجد في المقابل تعليقاً نقدياً على ماينشر منها وأحسب أن قيادات المؤسسات الصحافية تستطيع أن تساعد الصحافة الثقافية بكثير من الدعم وبذل المال، الذي يذهب أحياناً في غير الصالح العام.

● بوصفكم أستاذاً للأدب، ورئيساً لقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة صنعاء، الجامعة الأولى في اليمن، ماهي أبرز مشاكل التعليم الجامعي، وكيف يمكن تجاوزها؟ وهل من سبيل لتخطي المناهج الراهنة وطرائق التدريس والبحث العلمي؟ وفيما يخص تدريس اللغة والآداب والنقد تحديداً هل لديكم أفكار معينة بشأن تطوير كل ماسبق والقضاء على التلقين والأفكار الجاهزة؟

– أبرز مشاكل التعليم من وجهة نظري أنه لايوجد تخطيط ممتاز للتعليم وأنا أسعد بما ينجزه الزميل الدكتور/ عبدالوهاب راوح –وزير التعليم العالي والبحث العلمي، فلديه رؤية طيبة للخروج من المأزق، ولكنه يحتاج إلى دعم من الجهات المختصة، فإصلاح التعليم يحتاج إلى مواجهة شاملة.

إن المجتمع في أمس الحاجة إلى رؤية جديدة للتعليم .. من الصعب أن تقنع شاباً أن الجامعة لم تعد ضرورة إذا كان طلبها للوجاهة، وأن المعهد الفني هو الأجدى، فبينما يفيض المجتمع بعشرات الشهادات الاجتماعية التي لافائدة منها للمجتمع، يظل يبحث الأمر عن فني يصلح الغسالة أو الثلاجة أو السيارة التي تعطلت في الطريق، أو مجرى المياه الذي يهدد خرابه بخراب المنزل والمنازل المجاورة ...الخ.

أما طريقة التلقي الأدبي والجامعي فيما يتعلق بالعلوم الإنسانية فهي تقليدية ورجعية ومتخلفة، وأتمنى أن تلغى الامتحانات التي تكلف عشرات الملايين كل فصل دراسي، وتثقل ميزانية الجامعة، دونما جدوى، إن الطريقة التي يسير الآن الطلاب على وفقها، طريقة بائسة لاتخدم العملية التعليمية، بل تؤدي إلى إضرار بالعقل والفكر والروح، وتسيء إلى الوطن بشكل عام، فقط تُخرج نسخاً مكررة، وأطمع أن نفيد من المناهج الغربية التي تعلم الحرية.

وأقول لطلابي دائماً: إن سبب هذا الضعف في مستوى التحصيل يعود إلى هذه الطريقة العقيمة .. الجامعة لاتُعلّم وإنما تُثقّف .. المدارس تعطينا العلم، والجامعات تعطينا الثقافة وتضع أيدينا على المنهج .. المنهج هو المكسب الأول والأخير من الجامعة .. عندما نتعلم المنهج ستكون حياتنا على مايرام، من يكسر هذه الرتابة؟ نحن ننتظر.

■ لاوجود لرواية يمنية وأكبر معوق لظهور كتابة روائية في بلادنا هو المجتمع بكثير من تقاليده الزائفة

■ طه حسين ■ صلاح فضل ■ احلام مستغانمي

■ نجيب محفوظ ■ عبدالرحمن منيف ■ جابر عصفور

▫ تراثنا في غالبيته مقروء بشكل عدمي وفج وجامد وهو الآن يندثر

▫ لاتوجد وظيفة أولى للناقد وهو ذو مهمة أخرى فوق الوظيفة

الذاكرة الثقافية

صالح البيضاني

عندما تتلاشى الرموز الأدبية ولا يصبح لها مكان حتى في ذاكرتنا حينئذ نكون في مجتمع ليس فيه مكان للعقل أو حيز للوفاء ..أو ركن للذاكرة لتلك الرموز التي أعطتنا الكثير من عمرها وعقلها وذاكرتها..

وبينما يحتفل الأوروبيون بالذكرى المئوية لأديب راحل، نجدنا قد نسينا أو كدنا ننسى أبرز علم أدبي عرفته اليمن في العصر الحديث ذلك هو الرائي في زمن العميان عبدالله البردوني ولما يكتمل العقد على رحيله أما أدباء اليمن الراحلين في قرون مضت فلا يكاد أحد يعرفهم أو تتلمس الذاكرة طريقاً إليهم تلك في رأيي هي قضية الوطن الذي لا يحترم رموزه لذلك يظل يلهث خلف رموز الآخرين!!

وقد أدركني اليأس وأنا أشاهد عام الثقافة في بلادنا ينفرط عقده من دون أن يكون للرموز الأدبية الراحلة مكان فيه، لا تكريماً ولا توثيقاً ولاحتى ذكر عابر.

تساءلت لماذا لا يكون في العام الذي تعلن فيه صنعاء عاصمة للثقافة العربية ركن خاص للإحتفال بالذاكرة والعمل على جمع وتوثيق ذاكرة هذا الوطن وحضارته من أعلام وتراث وموروث شعبي، وهو الأمر الذي أدركه فخامة الرئيس /علي عبدالله صالح حيث وجه بجمع وتوثيق التراث المتناثر في أرجاء الوطن .

فلماذا لا يتم تشكيل لجنة للذاكرة؟

بارقة أمل

تكليف الزميلين محمد القعود وجميل مفرح من قبل وزارة الثقافة بإعداد موسوعة للأدباء اليمنيين خطوة على الطريق الصحيح نحو العمل التوثيقي الجاد والحقيقي..خصوصاً والأديب محمد القعود عرف باهتمامه بالعمل الموسوعي الأدبي الجاد من خلال أكثر من كتاب ما زالت ماثلة للطبع، كما أن الدور الذي قام ويقوم به في سبيل التوثيق لأعمال وحوارات البردوني ،أمر يستحق التقدير وقد عجزت عن القيام به مؤسسات لا تحظى بالذاكرة!!

لماذا الفنان الناجح محسود؟

فاروق الجفري

لماذا الإنسان الناجح هو وحده يتعرض للمؤامرات والدس والافتراء خصوصا من زملاء له في العمل؟ ولماذا الفنان الناجح محسود من الفنانين غير الناجحين؟ ولعل في السؤال نفسه يكمن الجواب ، فالإنسان الذي يقوده طموحه في أي مجال للوصول إلى أعلى المراتب محسود من الذين لا يقدرون أن يكونوا على شاكلته وكذلك الإنسان الذكي الذي يتصرف في المجتمع بشكل مدروس يجعل حضوره مقبولا وجميلا في أي مكان يذهب إليه في حين يحسده الذين يتصرفون بشكل أهوج واحمق دون أن يفكروا بخطواتهم وبأساليبهم الصحيحة والسليمة في الحياة. إقبال هؤلاء يسعون دائما لابداء من نجحوا عليهم بأية وسيلة فيختلقون حولهم الأكاذيب والافتراءات ويحيطونهم بكثير من المؤامرات لكن الهامات المنتصبة والشامخة بقوة لا تستطيع هذه الأكاذيب والافتراءات الوصول إليها بل نجد ضعفاء النفوس هم من يقتربون من هذه الهامات يقدسونها ويتساقطون أمامها ولكن نفسياتهم السوداء تضمر غير ما تظهر ، هل يحدث في مجتمع دون الآخر؟

أقول ربما يحدث هذا في الوطن العربي أكثر من غيره من الدول الأخرى لماذا ؟ لأن العربي تربى للأسف الشديد بأساليب تربوية متغيرة باستمرار ولا ثوابت لها فالذي كان بالأمس بطلاً أصبح اليوم جباناً والذي كان بالأمس وطنيا أصبح اليوم عميلاً خائناً والعكس وتربى العربي على عدم الثقة بالنفس وعدم الثقة بالآخرين وتعلم العربي أن لا يصدق أي كلام يقال وأن يكذب كل من يروي له أنه فعل كذا وكذا وهو في الواقع صادق ويقول الصدق وبسبب المتغيرات السياسية المتعاقبة على الوطن العربي أصبح العربي أيضا لا يعرف بماذا يؤمن وبماذا لا يؤمن إننا في الوطن العربي مبتلون بمجموعة من الأمراض الاجتماعية في طول الوطن العربي وعرضه ونجد أن غريزة الأذى متفشية في قلوب وصدور معظم الناس حباً بالأذى لا أكثر ولا أقل ولهذا تنطبق عليهم حقا الأمثال والحكم التي تركها لنا السلف الصالح أمثال من راقب الناس مات هماً أو الحسود لا يسود أو إتقِ شر من أحسنت إليه